ولما كان بعد أيام جاء الحاكم الجديد فلم يحسبهُ البطرك ولا راح الى عنده لكنهُ عمل مجمعاً في دير الزعفران وكتب اسماء كل السريان الذي لهُ بهم شك انهم قد صاروا مسيحيين (كاثوليك) وارسل جابهم الى المجمع وقال: اريد ان تعطوني حجة الى القاضي انكم ياقبة من اتباعي والذي ما يعطيني حجة ولا يدخل بيعتي لا اعمذ عماذهُ ولا ادفن ميتهُ واعرض امرهُ الى السلطان ليعمل معهُ بما اراد لان امر السلطان هو هذا ان طوائف النصارى لا تخالط بعضهم بعضاً والذي يخالف امر السلطان يُقتل هو واولادهُ ويكون مالهُ لبيت المسلمين ايضاً ثم قال: ان جميع البنات المخطوبين من طائفة اليعاقبة الى طائفة الارمن يفكُّوهم ويردوا نيشانهم والذين اخذوا بنات من الارمن يفكُّوهم كذلك . وكانوا اكابر الارمن قد خطبوا لاولادهم بنات كثيرة من بنات السريان وكانوا ايضاً السريان قد خطبوا لاولادهم بنات الارمن . فصار عندهم حزن عظيم وبقوا متحيرين (البقية لعدد آخر)

بايزيد الثاني والبابا اينوشنسيوس الثامن

نبذة تاريخية للاب لويس شيخو اليسوعي

روت جريدة المونيتور اوريتال الفرنسوية بنسبة ذكر الوفد المرسل من جلالة السلطان محمَّد الخامس الى قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر ليعلمهُ رسمياً بجلوسهِ على اريكة اجدادهِ السلاطين المظفَّرين من آل عثمان انَّ في مكتبة ميلانو من اعمال ايطالية صورة الكتاب الذي انفذهُ بايزيد الثاني الى البابا اينوشنسيوس الثامن وهو اوَّل كتاب من احد السلاطين الى الاحبار الرومانيين ثم وصفت ذلك الاثر قائلة: انهُ مكتوب على رقّ وفي اعلاهُ طغراء السلطان مذهَّبة تذهيباً ازرق واحمر . ارسلهُ على يد احد سفرائهِ مع الحربة التي طُعن بها جنب السيِّد المسيح على الصليب وكانت وقعت في ملك آل عثمان بعد فتح القسطنطينيَّة على يد محمَّد الثاني والد بايزيد . امَّا الغاية من ارسال ذلك الكتاب وتلك الذخيرة انَّما كانت بيان رغبة السلطان في اطلاق سبيل الامير «جم» اخيهِ الاكبر الذي كان محبوساً في قلعة الملاك المقدَّس

هذا ما روته جريدة موفيتور اورينتال ونقلته على علّاته بعض جرائدنا المحلّيّة التي عرّبت ايضاً تلك الرسالة كما يأتي:

« من بايزيد الثاني ملك الملوك وسلطان البرّين في اسيا واوربا بعناية الله الى المنسبور اينوسان الاب السامي لجميع المسيحيين والرئيس العالي للكنيسة الرومانية »

« اكرام وحبّ صادق فاننا نحيط قداستكم علماً باننا قد ارسلنا لحضرتكم الخاويش قاسم احد رجالنا ليطلعنا على احوال صحتكم وليوطد بيننا صلات المحبة وقد زوّدناهُ بالذخائر المقدسة التي جاءنا بها البريد عند عودته من سفرته وحفظها لنا المأمور (قبوجي باشي)

« وما ارسلناها اقداستكم الّا لما علمناهُ من البريد المذكور من انكم تجلّون وتعظمون كثيرًا الاشياء المقدّسة التي تتعلّق بالنبي الالهي عيسى عليه السلام ولانهُ يوجد بخزائننا والحمد لله كثير من آثار الانبياء والقديسين وهذا ما دعانا ان نرسل الى قداستكم مع قاسم الذكر الحربة التي طعن بها (على ما يقال) اشرارُ اليهود المسيحَ عليه السلام .

« فالمأمول ان قاسماً المذكور لا يتأخر كثيرًا في الاوبة بعد ان يحظى بالقبول لديكم ويزور اخي بل ليعود الينا حاملاً اخبارًا مطمئنة عن صحتكم وعن حالة اخينا وفضلاً عن ذلك فاننا فوضناه بان يبدي لحضرتكم بعض الايضاحات وهو لا يقول الّا ما أُمر به » . انتهى

فقد اعملنا النظر في هذا الاثر الجليل ورأينا في رواية الخبر عدّة اشياء تحتاج الى اصلاح او شرح اوسع فكتبنا هذه النبذة الموجزة عن اوثق المصادر فنقول :

انّ السلطان محمّد الثاني فاتح القسطنطينيّة قبل وفاته في ٤ ربيع الاوّل سنة ٨٨٦ هـ (٣ ايار سنة ١٤٨١) اوعز الى الصدر الاعظم واسمهُ قرماني محمّد باشا بان يسلّم ازمّة السلطنة من بعده الى بايزيد ابنه الكبير دون الصغير المسمّى جم . وكان بايزيد يوم وفاة والده حاكماً على اماسيا امّا جم فكان يحكم على بلاد قرمان فارسل الصدر الاعظم رسولاً الى بايزيد يعلمهُ بخلافته على كرسي السلطنة لكنّ قرماني

كان يفضّل جم على اخيه لما يعرفهُ من فضلهِ وبسالتهِ فارسل اليهِ سرًّا يستدعيهِ ليستلم مقاليد الامور قبل اخيهِ الّا ان الخبر شاع بعد قليل فثار جند الانكشاريّة على الوزير وقتلوهُ فصار الامر الى بايزيد. امّا جم الاخ الاصغر فلم يخلد الى الراحة فانتشبت بين الاخوين حرب كانت فيها الدولة لبايزيد على اخيهِ ففرّ جم هاربًا والتجأ الى فرسان القديس يوحنّا الاورشليمي المعروفين بفرسان رودس وكان رئيسهم اذ ذاك بطرس دي اوبسون البطل الصنديد فخاف بايزيد ان يعضد هؤلاء الفرسان اخاهُ ودفع لهم مالًا على شرط ان لا يسلّموه الى اعداء الدولة العثمانيّة لئلّا يستنجد بهم عليهِ. ففعلوا وبقي جم تحت حفظهم معزّزًا مكرّمًا وتنقّل برضاهم الى عدّة مدن خوفًا من ان يبطش بهِ السلطان فيقتلهُ وسعى غير مرّة ان يسمّه

ثم ثقلت وطأة السلطان بايزيد على الممالك النصرانيّة ردوّخ اهلها وفتح ثغورها فرأى البابا اينوشنسيوس ان يجمع كلمة ملوك الفرنج ليحارب العثمانيين وألحّ على فرسان رودس حتى سلّموهُ جم سنة ١٤٨٩ ونوى المتحالفون بان يجعلوا السلطنة في يدهِ على شروط يقوم بها اذا ظفر بالملك فوعدهم جم واخذ الملوك يستعدّون للحرب

فبلغ بايزيد ما يجريهِ الفرنج من الاستعدادات لمحاربتهِ فغاظهُ الامر جدًّا ولم يرَ وسيلة الى ردّ غارة الاعداء الّا ان يكتب الى البابا اينوشنسيوس الثامن ويستميلهُ بهبة نفيسة كان يعرف عظم شأنها لدى النصارى عمومًا ولدى ائمّة الاحبار خصوصًا

وقد روى الكردينال بارونيوس في تاريخ سنة ١٤٩٢ (عدد ١٤ — ١٧) عن مؤرخين عيانيين عاشوا قبلهُ بنحو خمسين سنة خبر الوفد السلطاني فقال: اتى بالرسالة والهدايا سفير سمّاهُ (Chamisbuerch) (شمس بورش؟) فدخل على الحبر الاعظم في ١٩ ايّار من السنة المذكورة واستقبلهُ البابا بما يليق لمثلهِ من الاكرام. وكان السلطان كتب الى الحبر الاعظم رسالتين كلتاهما باليونانية يقول في الاولى ان رئيس فرسان رودس اعلمهُ بتسليم اخيهِ الى الحبر الروماني فيطلب من قداستهِ ان يبقيهُ في حراستهِ كما اتّفق مع الفرسان المذكورين امّا هو فلا يزال على حفظ الوداد نحو الكرسي الرسولي. ويصف السلطان في الرسالة الثانية حُسن معاملتهِ لنصارى الشرق وانهُ كفّ عن محاربة دول الفرنج. فهاتان الرسالتان اودعتا في خزانة المكتبة الواتيكانيّة حيث كانتا موجودتين على عهد بارونيوس في صوان موسوم بحرف C تحت العدد ٣٣ والصفحة

١٦٠. ولعلّ الرسالة الاولى هي الرسالة التي نشرتها جريدة مونيتور اوريتال ولا نعلم كيف نُقلت الى مدينة ميلانو وهل هي مكتوبة باليونانية او بالتركيّة

اما الذخائر المرسلة الى الحبر الاعظم فقد ذكر جاك بوزيوس المؤرخ انها كانت متعدّدة اخصُّها حربة الجندي التي طعن بها جنب المخلص في الآلام كما ذكر القديس يوحنا في انجيله ثم الاسفنجة التي قرّبها الحرّاس من فمه الكريم وهو على الصليب مع القصبة الملفّفة بها الاسفنجة وذخائر بعض القديسين. فهذه الذخائر لم يكرمها الحبر الاعظم والكرادلة الّا بعد أن وكّل الى بعض علماء رومية بفحصها والبحث عن صحّتها فقضوا في ذلك ١١ يوماً فلمّا تقرّرت لهم صحّة تلك الآثار اقيمت لاكرامها حفلة عظيمة في يوم الخميس ٣١ أيار من السنة فنقلها الحبر الاعظم بابهة وروتق الى كنيسة اغلال مار بطرس. ومن عجيب الاتفاق انّهُ وجد قبل ذلك بشهرين في ١٢ اذار في احدى قناطر كنيسة الصليب الاورشليمي في رومية صندوق من رصاص عليه عدّة ختوم ففتحوها فاذا فيه عنوان الصليب المقدّس « يسوع الناصريّ ملك اليهود » وكان العمّة وقفوا عليه وهم يرمّمون تلك الكنيسة المبنيّة على عهد قسطنطين

وقد تأثر البابا ايتوشنسيوس من تلك المظاهرات الودّيّة واراد ان يبيّن للسلطان شكرهُ ويؤكد لهُ برغبته في السلام وحفظه للعهود لكنّ الموت عاجلهُ في ٢٥ تموز من السنة عينها ١٤٩٢ فوقع جم في ايدي خلفه اسكندر السادس من اسرة بورجيا فابقاهُ تحت حوزته مدّةً حتى اضطرّهُ ملك فرنسة كارلوس الثامن على دفعه لهُ فدفعهُ في ١٥ شباط سنة ١٤٩٥ فرافق الامير الجنود الافرنسيّة حتى بلغ الى نابولي وفيها توفي عند وصوله في ٢٤ شباط ١٤٩٥ وقيل انهُ مات مسموماً والروايات متباينة في سبب موته وكان جم مدّة اقامته في رومية ساكناً في القصر الراتيكاني الّا انهُ في آخر أيام ايتوشنسيوس واوّل عهد خلفه نُقل الى الحصن المعروف بالملاك القديس

وان سألنا احد عن الذخيرة التي ارسلها السلطان بايزيد الى البابا وما يُعرف عن صحّتها ، اجبنا ان اقدم شاهد تاريخي يروي ذكر الحربة التي طُعن بها السيّد المسيح هو احد زوّار اورشليم في دليله على الاراضي المقدّسة اسمهُ انطونيوس المعروف بالشهيد في سنة ٥٧٠ للمسيح رآها في كنيسة جبل صهيون. وفي اوائل القرن التالي استمرت في بلاد فلسطين وبلاد الشام نيران الحرب بين الفرس وملوك القسطنطينيّة ثم بين العرب

وبينهم فخرجت بلاد الشام عن حكم ملوك بوزنطية فكثير من ذخائر اورشليم الشينة نُقلت الى القسطنطينيَّة لئلَّا تبقى معرَّضة لاهانة غير المؤمنين وكانت الحربة من جملة هذه الذخائر. واخر من رآها في اورشليم الزائر الفرنسوي لسطفان أُركُلف نظرها سنة ٦٧٠ في كنيسة القبر المقدَّس. امَّا الزوَّار الذين أتوا بعده فلم يذكروا تلك الذخيرة في القدس الشريف بل يجعلونها في جملة الذخائر المكرَّمة في القسطنطينيَّة وشهادتهم متواصلة الى الفتح القسطنطيني فتكون تلك الحربة التي اهداها السلطان هي نفسها الذخيرة الاورشليميَّة وهي اليوم من ذخائر رومية الخطيرة (وهذه صورتها)

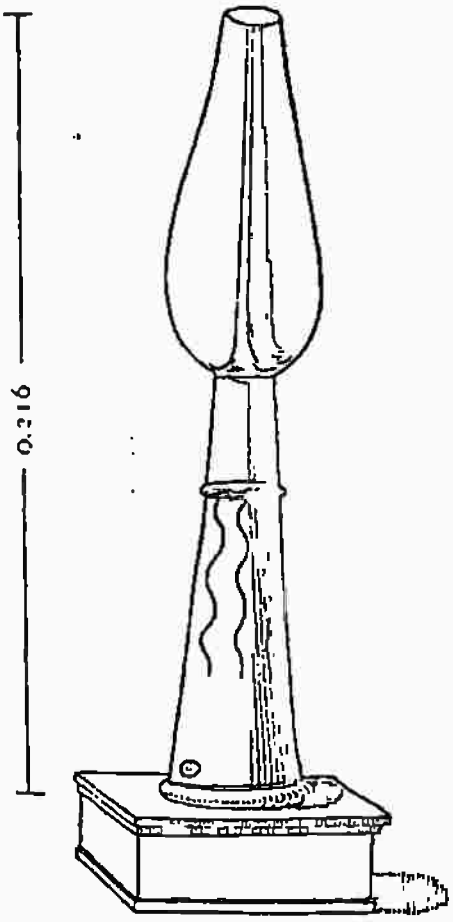

صورة الحربة المقدَّسة في رومية

وما يزيد هذه الرواية صحَّة انَّ الزوَّار يتفقون في وصف الحربة فيقولون انَّ سنانها الرفيع اي نصل رأسها هو مكسور (كما ترى في صورتها) ولهذا السنان خبر متواتر يرتقي الى القرن السابع فانَّ الفرس لمَّا فتحوا اورشليم سنة ٦١٤ وضبطوا كل جواهر خزائنها واخذوا الصليب المقدَّس الذي كان فيها وجدوا ايضًا هذا السنان مكسورًا فطلبهُ ألكنت نيكيتاس ونالهُ من احد ضبَّاطهم فنقلهُ الى القسطنطينيَّة كما اخبر صاحب التاريخ الفصحي (Chronicon Paschale) في اخبار تلك السنة. فبقي السنان في

القسطنطينيّة الى ان فتحها الفرنج سنة ١٢٠٤ فاهداه ملكهم بفدوين لملك فرنسة القديس لويس التاسع فجعلهُ القديس مع ذخيرة الاكليل المقدَّس في كنيسة شيّدها لهذه الغاية وبقي السنان في تلك الكنيسة الى الثورة الفرنسويّة فُفقد . ويقال انَّ هذا السنان عُرض قديماً على الحربة التي في رومية فوُجد على قياسها تماماً

هذا ما لخَّصناهُ عن مقالة واسعة كتبها احد كبار الاثريين الكنت دي ميلي (F. de Mély) في جريدة الصناعة المسيحيَّة (Revue de l'Art chrètien, 1877) وهناك تفاصيل على حربات أُخرى مقدَّسة تُكرم في بعض البلاد كالحربة الموجودة في كنيسة اجيازين الارمنيَّة الغريغوريَّة والحربة المكرَّمة في ڤيانَّة عاصمة النمسة والحربة التي اكتشفها الصليبيُّون في انطاكية (اطلب تاريخ الدول لابي الفرج ابن العبري طبعة الاب انطون صالحاني ص ٣٤١) وما يوجد من العلاقات بين هذه الآثار . فنكتفي بالاشارة اليها خوفاً من الاطالة

اما الاسفنجة المقدَّسة فان ذكرها قليل في الروايات التاريخيَّة فيصعب بيان صحَّتها وليس ببعيد انَّ ملوك الروم الذين كانوا يحرصون على مثل هذه الذخائر اتوا بها من القدس الشريف والله اعلم

عهود نبيّ الاسلام والخلفاء الراشدين للنصارى

نظر انتقاديّ للاب لويس شيخو اليسوعي

انا في اسفارنا المتعدّدة الى الشام ومصر وما بين النهرين والعراق والهند كما ايضا في مطالعاتنا المتواترة في خزائن كتب اوربة الغنيَّة بالآثار الشرقية كباريس ولندن ورومية وليدن كثيرًا ما كنَّا نقف على نسخ معاهدات كتب بعضها — كما قيل — نبيّ الاسلام الى فرق النصارى ويُنسَب بعضها الآخر الى الخلفاء الراشدين ولاسيما ابا بكر الصديق وعمر بن الخطَّاب فكنَّا نسرع الى نقل تلك الآثار لما نجد فيها من اسباب الألفة والاتحاد بين اهل الاوطان على اختلاف الاديان. حتى حصل لنا منها بضع عشرات وكانت غايتنا ان ننشر يوماً تلك الآثار اذا ما ساعدت حريَّة المطبوعات اذ علمنا حق العلم انَّ الحكم السابق كان يرى في تلك الابحاث خطرًا وهميًّا لا ندري ما هو